(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} [مريم:٤١-٥٠]

الشيخ: إلى هنا، سبحان الله، لا إله إلا الله

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ} يعني أخبر عن إبراهيم واتلُ على الناس خبر إبراهيم {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ} في القرآن، اذكر إبراهيم {إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} فهو من خيار خلق الله بل هو أفضل الناس بعد مُحَمَّد -ﷺ-، سبحان الله، كان صديقا نبيا والصديق هو كامل، هو تام التصديق والكامل في الصدق {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} [الزمر:٣٣]، وهو نبي هذا يُعْلَم أن، أن كل نبي صدّيق وليس كل صدّيق نبي ولما ذكر الله أصناف أولياء الله ذكرهم ثلاث، أربعة أصناف أعمها الصالحون {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:٦٩].

ومن خبر إبراهيم -عليه السلام- أنه دعا أباه وقومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له واجتهد وجاهد أباه في، في ذلك، اذكر إبراهيم حين قال لأبيه: {لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا}، {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ} يخاطبه بصفة الأبوَّة استعطافا له، يستعطفه، {يَا أَبَتِ}، {يَا أَبَتِ} فيه فيه تودد {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ}، {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي}، {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ} الآيات، فهو يتوده ويستعطفه ويذكّره ويبين له بطلان ما يعبده، لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع شيئا ولا يغني عن عابده شيئا ويذكر له أيضا أن الله أعطاه من العلم ما عَرَف به الحق من الباطل وأنه يجب على أبيه أن يتبعه ولو كان ابنه، فإذا العبد رُزق بابن صالح ذي بصيرة وعلم ومعرفة فعلى الأب أن يستجيب لما يدعوه إليه وينصحه به ولا يأنف إنْ هذا ابنه وأنه أصغر منه، صغير لا، عليه يستجيب للحق يقبل الحق منه، {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ} الله فضَّلني وأعطاني من العلم ما لم يُؤتِك فاتبعني أهدِك

صراطا سويا، أدلُّك على الطريق القويم، وحذَّره من عبادة الشيطان وطاعة الشيطان وألا يصيبه العذاب فيهلِك شقيّا بعيدا {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}.

فاستكبر الأب وأصرَّ على كفره وشركه {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} لم يكفِه مجرد التكذيب والإعراض والاستكبار على الحق بل يهدِّد الابن، يهدد الابن بأن يرجمه ويطالبه بأن يُعرِض عنه ويترك هذه الدعوة {أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} انظر الرد سلام ووعد بالاستغفار، تسليم ووعد بالاستغفار {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}.

ثم أخبر سبحانه في آخر القصة بأن الله أكرم إبراهيم بأن وهب له {إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا}، {وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} فلهم الذكر الجميل في الغابرين، إبراهيم وإسحاق ويعقوب –عليهم السلام–، أنبياء الله وخيرته من العباد {وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}.

نعم يا مُحَمَّد

(تفسير السعدي)

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله تعالى– في تفسير قول الله تعالى:

{فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

لما بيَّن تعالى حال عيسى بن مريم الذي لا يُشك فيها ولا يُمترى، أخبر أن الأحزاب، أي: فرق الضلال، من اليهود والنصارى وغيرهم، على اختلاف طبقاتهم اختلفوا في عيسى –عليه السلام–، فمن غالٍ فيه وجافٍ، فمنهم من قال: إنه الله، ومنهم من قال: إنه ابن الله. ومنهم من قال: إنه ثالث ثلاثة. ومنهم من لم يجعله رسولا بل رماه بأنه ولد بغي كاليهود، وكل هؤلاء أقوالهم باطلة، وآراؤهم فاسدة، مبنية على الشك والعناد، والأدلة الفاسدة

الشيخ: وكلهم بهذا كفار {فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} كلهم كافرون هؤلاء المختلفون كلهم كافرون الغالون والجافون، الغالون في المسيح وهم النصارى والجافون وهم اليهود الذين كذَّبوا وطعنوا فيه وفي أمه

القارئ: والأدلة الفاسدة، والشبه الكاسدة، وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد، ولهذا قال: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} بالله ورسله وكتبه، ويدخل فيهم اليهود والنصارى، القائلون بعيسى قول الكفر. {مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} أي: مشهد يوم القيامة، الذي يشهده الأولون والآخرون، أهل السموات وأهل الأرض، الخالق والمخلوق، الممتلئ بالزلازل والأهوال، المشتمل على الجزاء بالأعمال، فحينئذ يتبيَّن ما كانوا يخفون ويبدون، وما كانوا يكتمون.

{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا} أي: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم! فيقرُّون بكفرهم وشركهم وأقوالهم، ويقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة:١٢] ففي القيامة، يستيقنون حقيقة ما هم عليه.

{لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} وليس لهم عذر في هذا الضلال، لأنهم بين معاند ضالٍّ على بصيرة، عارف بالحق، صادف عنه، وبين ضالٍّ عن طريق الحق، متمكِّن من معرفة الحق والصواب، ولكنه راضٍ بضلاله وما هو عليه من سوء أعماله، غير ساعٍ في معرفة الحق من الباطل، وتأمل كيف قال: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} بعد قوله: {فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ} ولم يقل "فويل لهم" ليعود الضمير إلى الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين، طائفة أصابت الصواب، ووافقت الحق، فقالت في عيسى: "إنه عبد الله ورسوله" فآمنوا به، واتبعوه، فهؤلاء مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد، فلهذا خصَّ الله بالوعيد الكافرين.

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ}.

الإنذار هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته

الشيخ: ما تكلم على يوم الحسرة؟ كأنه تجاوز؟ {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ} لا كأنه ما في

طالب: سيذكر شيخ، أحسن الله إليك

الشيخ: ها؟

طالب: سيذكر سيذكر

الشيخ: طيب، شوف [انظر]

القارئ: الإنذار هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يُقضى الأمر، فيُجمع الأوَّلون والآخرون في موقف واحد، ويُسألون عن

أعمالهم، فمن آمن بالله، واتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقي شقاوة لا سعادة بعدها

الشيخ: أعوذ بالله

القارئ: وخسر نفسه وأهله، فحينئذ يتحسَّر، ويندم ندامة تتقطَّع منها القلوب، وتنصدع منها الأفئدة، وأي: حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه والنار

الشيخ: أعوذ بالله

القارئ: على وجه لا يتمكَّن من الرجوع، ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟!

الشيخ: لا إله إلا الله

القارئ: فهذا قدامهم، والحال أنهم في الدنيا في غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة، وشملتهم السكرة، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألهتهم دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية.

فالدنيا وما فيها، من أولها إلى آخرها، ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها

الشيخ: لا إله إلا الله، الله أكبر

القارئ: ويذهبون عنها، وسيرث الله الأرض ومن عليها، ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو ربحوا، فمن فعل خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلا نفسه.

قال الله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} الآيات

الشيخ: قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا} يتضمن ذهاب هذه الدنيا عن أهلها وفنائها ويتضمن أنه تعالى هو الباقي بعد كل شيء فلهذا أخبر بأنه الوارث، الوارث هو الذي يرث، يرث ما خلفه الهالك فكل شيء هالك إلا وجهه، فالله هو الباقي وكل من سواه هالك والكل مُلْكه من قبل ومن بعد لكن هذا التعبير للدلالة على بقائه ودوامه وهلاك من سواه. نعم {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ}

القارئ: أجلّ الكتب وأفضلها وأعلاها، هذا الكتاب المبين، والذكر الحكيم، فإن ذُكر فيه الأخبار، كانت أصدق الأخبار وأحقَّها، وإن ذُكر فيه الأمر والنهي، كانت أجلَّ الأوامر والنواهي، وأعدلها وأقسطها، وإن ذُكر فيه الجزاء والوعد والوعيد، كان أصدق الأنباء وأحقَّها وأدلَّها على الحكمة والعدل والفضل. وإن ذُكر فيه الأنبياء والمرسلون، كان المذكور فيه، أكمل من غيره وأفضل، ولهذا كثيرا ما

يُبدئ ويعيد في قصص الأنبياء، الذين فضَّلهم على غيرهم، ورفع قدرهم، وأعلى أمرهم، بسبب ما قاموا به، من عبادة الله ومحبته، والإنابة إليه، والقيام بحقوقه، وحقوق العباد، ودعوة الخلق إلى الله، والصبر على ذلك، والمقامات الفاخرة، والمنازل العالية. فذكر الله في هذه السورة جملة من الأنبياء، يأمر الله رسوله أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم. وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم، والاقتداء بهم، فقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} جمع الله له بين الصديقية والنبوة.

الشيخ: جمع الله، شوي شوي [تمهَّل]

القارئ: جمع الله له بين الصديقية والنبوة

الشيخ: نعم

القارئ: فالصدِّيق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدِّق بكل ما أُمر بالتصديق به. وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثِّر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل. وإبراهيم –عليه السلام–، هو أفضل الأنبياء كلهم بعد مُحَمَّد –ﷺ–، وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة

الشيخ: وهو الأب الثالث؟

القارئ: للطوائف الفاضلة

الشيخ: الأب الثالث، آدم، الثاني نوح، الثالث إبراهيم، لكن نوح هو أبو البشرية كلهم من بعد الطوفان {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} [الصافات:٧٧] أما إبراهيم فليس كذلك بل ذريته يعني هم يعني خيار الناس وأفضلهم ذريته بنو إسرائيل وبنو إسحاق وبنو إسماعيل، فبنو إسحاق هم بنو إسرائيل الذي هو يعقوب فبنو إسرائيل كلهم من ذرية، من ذرية إبراهيم وكذلك ذرية إسماعيل لكن لا نقول إن البشرية كلها من ذرية إبراهيم ولهذا قيَّدها الشيخ قال إنه أبو الطوائف، الأب الثالث للطوائف الفاضلة

طالب: ثلاثة، الطوائف الثلاثة

الشيخ: أيش هو؟

طالب: الطوائف الثلاثة..، أحسن الله إليك

الشيخ: أيش الثلاثة؟

طالب: هو قال [...] يعني هو أبو الطوائف الثلاث

الشيخ: يقول ثلاث؟

طالب: نعم

الشيخ: أيش؟

طالب: الفاضلة، في مراتب لهذه الطوائف

الشيخ: لا إله إلا الله، هو يقول الطوائف الثلاث؟

طالب: نعم

القارئ: **وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة**

الشيخ: الفاضلة، يعني كأنه يشير إلى مثل معنى {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [العنكبوت:٢٧]، {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} [الزخرف:٢٨]

طالب: أحسن الله إليك، كيف [...] قوله تعالى: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} [الإسراء:٣] مع قولنا أن البشرية الآن كلهم من ذرية نوح

الشيخ: أيش تقول؟

القارئ: قوله تعالى: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ}

الشيخ: أيش فيها؟ أيش فيها؟

طالب: كيف نوجهها مع..؟

الشيخ: أيش فيها؟ أيش هالإشكال؟

طالب: يعني إن الي [الذين] مع نوح لهم ذرية

الشيخ: ها؟

القارئ: الآية هذه تدل أن الذين مع نوح لهم ذرية {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}

الشيخ: لا إله إلا الله

طالب: جمع الآية الأخرى

الشيخ: ما هو بمعروف

طالب: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ..}

الشيخ: ذرية، ذرية، ذرية نوح، ذرية نوح ما كانوا محمولين؟

طالب: [...] ذرية نوح

الشيخ: مع نوح، أولاده، أولاده الثلاثة على ما يذكره المفسرون حام وسام ويافث، هذول [هؤلاء] ما هم محمولين في السفينة؟

طالب: هم محمولين وغيرهم

الشيخ: وغيره لكن من هو الي [الذي] قال إن: يا ذرية كل من، هذا خطاب، هذا خطاب لبني إسرائيل، وبنو إسرائيل هم من ذرية أولاد نوح المحمولين على السفينة

القارئ: وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دعا الخلق إلى الله، وصبر على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه، مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه، فقال: {إِذْ قَالَ لأَبِيهِ} مهجنا له عبادة الأوثان: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} أي

الشيخ: هذا دليل عقلي على بطلان هذه الآلهة، لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئا عن عابديه، هذا مما يُستَدل به على إثبات السمع والبصر لله سبحانه وتعالى فإنه سميع بصير قادر مالك لكل شيء يُكرِم عابديه ويُجزيهم، أما الآلهة الباطلة لا تغني شيئا عن عابديها وهذه الأصنام التي يعبدها الضالون لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا..، ولهذا مثَّلها الله بالأمور الناقصة {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} [النحل:٧٥] فهذه الآلهة لا تقدر على شيء، فهذه الآلهة لا تقدر على شيء ولا تنفع عابديها {وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} لا جلبا لمنفعة ولا دفعا لمضرة

القارئ: أي: لِمَ تعبد أصناما، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا وشرعا. ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع

الشيخ: ودل بمفهوم أيش؟ ودل

القارئ: ودل بتنبيهه وإشارته

الشيخ: أي

القارئ: أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال

الشيخ: نعم

القارئ: الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى.

{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ} أي: يا أبت لا تحقرني وتقول: إني ابنك، وإن عندك ما ليس عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما لم يعطِك، والمقصود من هذا قوله: {فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} أي: مستقيما معتدلا وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال، وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: "يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل" أو "ليس عندك من العلم شيء" وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إليَّ لم يصل إليك ولم يأتِك

الشيخ: تأَمَّل، هذا ما أدري هذا الكلام، بل فيه إظهار لما فضَّله الله به، لا إله إلا الله، {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ} ولا يدلُّ على أنه قد جاءه علم، لا يدل على أن الأب أنه قد جاءه علم لا، بل الآيات كلها تدل على الحكم عليه بالضلال والجهل {لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا}، {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ} هذا فيه تصريح بأنه بذلك عابد للشيطان

القارئ: فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها.

{يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ} لأن من عبد غير الله، فقد عبد الشيطان، كما قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يس:٦٠]

{إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} فمن اتبع خطواته، فقد اتخذه وليا وكان عاصيا لله بمنزلة الشيطان. وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته، ولهذا قال: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ} أي: بسبب إصرارك على الكفر، وتماديك في الطغيان {فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} أي: في الدنيا والآخرة، فتنزل بمنازله الذميمة، وترتع في مراتعه الوخيمة، فتدرَّج الخليل –عليه السلام– بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنك إن أطعتني، اهتديت إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذَّره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون وليا للشيطان، فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي، وأجاب بجواب جاهل وقال: {أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ} فتبجح بآلهته التي هي من الحجر والأصنام، ولام إبراهيم عن رغبته عنها، وهذا من الجهل المفرط، والكفر الوخيم، يُتمدح بعبادة الأوثان، ويدعو إليها.

{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ} أي: عن شتم آلهتي، ودعوتي إلى عبادة الله {لأَرْجُمَنَّكَ} أي: قتلًا بالحجارة {وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} أي: لا تكلمني زمانا طويلا فأجابه الخليل جواب عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين، ولم يشتمه، بل صبر، ولم يقابل أباه بما يكره، وقال: {سَلامٌ عَلَيْكَ} أي: ستسلم من خطابي إياك بالشتم والسب

وبما تكره، {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} أي: لا أزال أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، بأن يهديك للإسلام، الذي تحصل به المغفرة، ف {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} أي: رحيما رؤوفا بحالي، معتنيا بي، فلم يزل يستغفر الله له رجاء أن يهديه الله، فلما تبيَّن له أنه عدو لله، وأنه لا يفيد فيه شيئا، ترك الاستغفار له، وتبرَّأ منه.

وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي.

فلما أيس من قومه وأبيه قال: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: أنتم وأصنامكم

الشيخ: الله أمر باتباع إبراهيم، أمر الله نبيه باتباع إبراهيم وأمر الأمة باتباع إبراهيم إلا في شيء واحد وهو، أيش؟

طالب: {إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ}

الشيخ: {إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ} إلا استغفاره لأبيه {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [الممتحنة:٤]

القارئ: فلما أيس من قومه وأبيه قال: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: أنتم وأصنامكم {وَأَدْعُو رَبِّي} وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة {عَسَى أن لا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} أي: عسى الله أن يسعدني بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من أيس ممن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصرُّوا في طغيانهم يعمهون، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله.

ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشقِّ شيء على النفس، لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمَّن يتعزَّز بهم ويتكثَّر، وكان من ترك شيئا لله عوَّضه الله خيرا منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا} من إسحاق ويعقوب {جَعَلْنَا نَبِيًّا} فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين.

{وَوَهَبْنَا لَهُمْ} أي: لإبراهيم وابنيه {مِنْ رَحْمَتِنَا} وهذا يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة، من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون. {وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} وهذا أيضا من الرحمة التي وهبها لهم، لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى}

الشيخ: إلى هنا